المبحث الأول

شحنة نبوية لتفعيل دور المسلم نحو نفع إخوانه بما يستطيع

إن كلام المصطفى ﷺ عند المسلم صاحب اليقين في أنه لا ينطق عن الهوى، من شأنه أن يُفعِّله تفعيلاً ويدفعه دفعًا إلى التزام أوامره وطاعته ، ومعلوم لدى الجميع كيف كان كلام رسول الله ﷺ يفعل في سلفنا الصالح ـ رضوان الله عليهم ـ وكيف كانوا يتسابقون ويتنافسون في العمل به .

وسأسوق لك هنا ـ أخي الحبيب ـ بعض أقواله ﷺ التي يحث فيها على نفع الآخرين ، وبذل المعروف إليهم ، فمن ذلك :

[١] عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن رجلاً جاء إلى النَّبي ﷺ فقال : يا رسول الله،أي الناس أحب إلى الله ؟،وأي الأعمال أحب إلى الله؟، فقال رسول الله ﷺ : « **أحب الناس إلى الله تعالى أنفعهم للناس ، وأحب الأعمال إلى الله سرور يدخله على مسلم ، أو يكشف عنه كربة ، أو يقضي عنه دينًا ، أو تطرد عنه جوعًا ، ولأن أمشي مع أخي في حاجة أحب إليَّ من أن أعتكف في هذا المسجد** ـ يعني مسجد المدينة ـ **شهراً ،ومن كف غضبه ستر الله عورته، ومن كظم غيظه، ولو شاء أن يمضيه أمضاه، ملأ الله قلبه رجاءً يوم القيامة، ومن مشى مع أخيه في حاجة حتى تتهيأ له، أثبت الله قدمه يوم تزول الأقدام**»[١] .

[٢] وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « **من نفَّس عن مؤمن كربة من كُرَب الدنيا نَفَّس الله عنه كربة من كُرَب يوم القيامة ، ومن يسَّر على مُعْسِر يَسَّر الله عليه في الدنيا والآخرة ، ومن ستر مسلمًا ستره الله في**

---

(١) أخرجه الألباني في السلسلة الصحيحة برقم (٩٠٦) ، وقال : أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (٣/ ٢٠٩/ ٢) ، وابن عساكر في التاريخ (١٨/ ١/ ٢) .

الدنيا والآخرة ، والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه » (١) .

[٣] وعن أبي ذر رضي الله عنه ، قال : قال رسول الله ﷺ : « **لا تحقِرَنَّ من المعروف شيئًا ولو أن تلقى أخاك بوجه طليق** » (٢) .

[٤] وعن أبي ذر رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « **تبسمك في وجه أخيك صدقة ، وأمرك بالمعروف ونهيك عن المنكر صدقة ، وإرشاد الرجل في أرض الضلالة لك صدقة ، وإماطتك الحجر والشوك والعظم عن الطريق لك صدقة ، وإفراغك من دلوك في دلو أخيك لك صدقة** » (٣) .

[٥] عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : بينما نحن في سفر مع النَّبيّ ﷺ إذ جاءه رجل على راحلة له ، فجعل يصرف بصره يمينًا وشمالاً ، فقال رسول الله ﷺ : « **من كان معه فضلُ ظهر فليعُد به على من لا ظهر له ، ومن كان له فضلٌ من زاد فليعد به على من لا زاد له** » ، فذكر من أصناف المال ما ذكر حتى رأينا أنه لا حقَّ لأحدٍ منا في فضل (٤) .

[٦] وعن أبي موسى رضي الله عنه ،عن النَّبيّ ﷺ قال : « **على كل مسلم صدقة** ، قال : رأيت إن لم يجد ؟ ، **قال : يعمل بيديه فينفع نفسه ويتصدق** ، قال : أرأيت إن لم يستطع ؟ ، **قال : يعين ذا الحاجة الملهوف** ، قال : أرأيت إن لم يستطع ؟ ، **قال : يأمر بالمعروف أو الخير** ، قال : أرأيت إن لم يفعل ؟ ، **قال : يمسك عن الشر فإنها صدقة** » (٥) .

[٧] وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما أن النَّبيّ ﷺ قال : « **ما من مسلم يغرس**

---

(١) مسلم برقم (٢٦٩٩) ، والترمذ ي برقم (٤٠١٥) .

(٢) صحيح المتجر الرابح برقم (٩٩٥) (وعزاه إلى مسلم) ، ط. دار ابن حزم ، بيروت ٢٠٠١م ، تحقيق زكريا ابن غلام قادر الباكستاني .

(٣) صحيح المتجر الرابح برقم (٩٩٦) وعزاه إلى الترمذي وقال : « حديث حسن » .

(٤) مسلم برقم (١٧٢٨) .

(٥) مسلم برقم (١٠٠٨) ك الزكاة .

غرسًا أو يزرع زرعًا فيأكل منه إنسان ولا دابة ولا طير إلا كان له صدقة إلى يوم القيامة »[١] ، وفي رواية : « وما سُرق منه له صدقة ، ولا يرزؤه أحد إلا كان له صدقة »[٢] .

[٨] وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، عن النَّبيِّ قال : « لقد رأيت رجلاً يتقلب في الجنة في شجرة قطعها من ظهر الطريق كانت تؤذي المسلمين »[٣] ، وفي رواية : « مرَّ رجل بغصن شجرة على ظهر طريق فقال : والله لأنحين هذا عن المسلمين لا يؤذيهم ، فأُدخل الجنة »[٤] ، وفي رواية « بينما رجل يمشي بطريق وجد غصن شوك على الطريق ، فأخَّره فشكر الله له فغفر له »[٥] .

[٩] وعن أبي أُمامة عُدَيِّ بن عجلان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، قال : قال رسول الله ﷺ : « يا ابن آدم إنك إن تبذل الفضل خير لك ، وأن تمسكه شر لك ، ولا تُلام على كفاف ، وابدأ بمن تعول ، واليد العُليا خيرٌ من اليد السفلى »[٦] .

[١٠] وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، عن النَّبيِّ ﷺ قال : « بينما رجل يمشي بفلاة من الأرض فسمع صوتًا في سحابة : اسق حديقة فلان ، فتنحى ذلك السحاب فأفرغ ماءه في حرَّة فإذا شرجة من تلك الشراج قد استوعبت ذلك الماء كله ، فتتبع الماء فإذا رجل قائمٌ في حديقته يحوِّل الماء بمسحاته ، فقال له : يا عبد الله ، ما اسمك؟ ، قال : فلان ، للاسم الذي سمع به في السحابة ، فقال له : يا عبد الله لِمَ تسألني عن اسمي؟ ، فقال : إني سمعت صوتًا في السحاب الذي هذا ماؤه يقول :اسق حديقة فلان ،لاسمك ، فما تصنع فيها ؟ ، فقال : أما إذا قلت هذا ، فإني أنظر إلى ما يخرج منها فأتصدق بثلثه ، وآكل أنا وعيالي ثلثًا ، وأرد فيها ثلثه »[٧] .

---

(١) مسلم برقم (١٥٥٢) ك المساقاة .
(٢) مسلم برقم (١٥٥٢) ك المساقاة .
(٣) مسلم برقم (٢٦١٧) ك البر والصلة .
(٤) مسلم برقم (٢٦١٧) ك البر والصلة .
(٥) مسلم برقم (١٩١٤) ك الإمارة .
(٦) مسلم برقم (١٠٣٦) ك الزكاة .
(٧) مسلم برقم (٢٩٨٤) ك الزهد والرقائق .

[١١] وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما ، قال : لدغت رجلاً منا عقربٌ ونحن جلوس عند رسول الله ﷺ ، فقال رجل : يا رسول الله ، أَرْقي ؟ ، قال: من «**استطاع منكم أن ينفع أخاه فليفعل**» (١) ، وفي رواية « **فلينفعه** » (٢) .

[١٢] وعن أبي برزة رضي الله عنه ، قال: قلت : يا نبي الله ، علِّمني شيئًا أنتفع به ، قال ﷺ : « **اعزل الأذى عن طريق المسلمين** » (٣) .

[١٣] وعن أبي ذر رضي الله عنه قال: قال النَّبيّ ﷺ : « **عُرضت عليَّ أعمال أُمَّتي حسنُها وسيئها ، فوجدت في محاسن أعمالها الأذى يماط عن الطريق ، ووجدت في مساوئ أعمالها النخامة تكون في المسجد لا تُدفن** » (٤) .

[١٤] قال رسول الله ﷺ : « **من أخرج من طريق المسلمين شيئًا يؤذيهم كتب الله له به حسنة ، ومن كُتب له عنده حسنة أدخله بها الجنة** » (٥) .

[١٥] وعن ابن عباس رضي الله عنهما ، عن النَّبيّ ﷺ قال: « **من ستر عورة أخيه ستر الله عورته يوم القيامة ، ومن كشف عورة أخيه المسلم ، كشف الله عورته حتى يفضحه بها في بيته** » (٦) .

[١٦] وعن ابن عمر رضي الله عنهما ، قال : صعد رسول الله ﷺ فنادى بصوت رفيع فقال : « **يا معشر من أسلم بلسانه ولم يُفْض الإيمان إلى قلبه ، لا تؤذوا المسلمين ، ولا تتبعوا عوراتهم ، فإنه من تتبع عورة أخيه المسلم ، تتبع الله عورته ، ومن تتبع عورته يفضحه ولو في جوف رحله** » (٧) .

[١٧] وعن مسلمة بن مُخلَّد رضي الله عنه ، قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « **من ستر على مؤمن عورة فكأنما أحيا مؤودة** » (٨) .

[١٨] وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال:قال النَّبيّ ﷺ : «**إن لله تعالى أقوامًا يختصهم**

---

(١) مسلم برقم (٢١٩٩) .
(٢) مسلم برقم (٢١٩٩) .
(٣) صحيح الترغيب والترهيب برقم (٢٩٦٨) .
(٤) المرجع السابق (٢٩٦٧) .
(٥) المرجع السابق (٢٩٧٤) .
(٦) المرجع السابق (٢٢٣٨) .
(٧) المرجع السابق (٢٣٣٩) .
(٨) المرجع السابق (٢٣٣٧) .

بالنعم لمنافع العباد ، ويثبتها عندهم ما نفعوهم ، فإذا هم لم ينفعوهم حوّلها الله عنهم إلى غيرهم » (١) .

[١٩] وعن أبي الدرداء رضي الله عنه ، أن رسول الله ﷺ كان يقول : « **دعوة المرء المسلم لأخيه بظهر الغيب مستجابة ، عند رأسه ملك مُوكّل ، كلما دعا لأخيه بخير قال الملك الموكل به : آمين ، ولك بمثل** » (٢) .

[٢٠] وعن أبي هريرة رضي الله عنه ، أن رسول الله ﷺ قال : « **من دعا إلى هدىً كان له من الأجر مثل أجور من تبعه ، لا ينْقُص ذلك من أجورهم شيئًا** »(٣) .

[٢١] وعن عثمان بن عفان رضي الله عنه ، أن رسول الله ﷺ قال : « **خيركم من تعلم القرآن وعلَّمه** » (٤) .

[٢٢] وعن أبي هريرة رضي الله عنه ، قال : رسول الله ﷺ : « **من أنظر معسراً ، أو وضع له أظله الله يوم القيامة تحت ظل عرشه يوم لا ظل إلا ظله** » (٥) .

[٢٣] وعن حذيفة رضي الله عنه ، قال : « **أُتي الله بعبد من عباده آتاه الله مالاً ، فقال له : ماذا عملت في الدنيا ؟ ، قال : ﴿وَلَا يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثًا﴾ قال : يارب آتيتني مالك فكنت أبايع الناس ، وكان من خلقي الجواز ، فكنت أتيسّر على الموسر وأنظر المُعسر ، فقال الله تعالى : أنا أحق بذا منك ، تجاوزوا عن عبدي** » (٦) ، فقال عقبة بن عامر وأبو مسعود الأنصاري رضي الله عنهما : هكذا سمعناه من فيّ رسول الله ﷺ .

وفي رواية : « **حوسب رجل ممن كان قبلكم ، فلم يوجد له من الخير شيء ، إلا أنه كان يخالط الناس ، وكان موسراً ، وكان يأمر غلمانه أن يتجاوزوا عن المعسر ، قال الله ـ عز وجل ـ : نحن أحق بذلك منه ، تجاوزوا عنه** » (٧) .

---

(١) السلسلة الصحيحة (١٦٩٢) .
(٢) مسلم برقم (٢٧٣٣) .
(٣) مسلم برقم (٢٦٧٤) .
(٤) الترمذي برقم (٢٨١٣) وقال حسن صحيح .
(٥) مسلم برقم (٣٠٠٦) .
(٦) مسلم برقم (١٥٦٠) .
(٧) مسلم برقم (١٥٦١) .

[٢٤] وعن أبي ذر رضي الله عنه ، قال : قال رسول الله ﷺ : « **يا أبا ذر إذا طبخت مرقة فأكثر ماءها ، وتعاهدْ جيرانك** » (١) .

[٢٥] وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : « **ما من عبد أنعم الله عليه نعمة فأسبغها عليه ، ثم جعل من حوائج الناس إليه فتبرَّم ، فقد عرَّض تلك النعمة للزوال** » (٢) .

[٢٦] وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه ، قال : أُصيب رجل في عهد رسول الله ﷺ في ثمار ابتاعها فكثر دَيْنه ، فقال رسول الله ﷺ : « **تصدقوا عليه** » ، فتصدق من الناس عليه ، فلم يبلغ ذلك وفاء دَيْنه ، فقال رسول الله ﷺ : « **خذوا ما وجدتم وليس لكم إلا ذلك** » (٣) .

❁ وأختم هذه الأحاديث النبوية المنتقاة هنا ـ لعلها تشحن المسلم وتفعِّله ليكون إنسانًا نافعًا ـ بالحديث العظيم الذي ضرب فيه النَّبيّ ﷺ المثل للمسلم بالنخلة في دوام نفعها وعدم انقطاعه .

[٢٧] فعن ابن عمر رضي الله عنهما ، قال : قال رسول الله ﷺ : « **إن من الشجر شجرة لا يسقط ورقها ، وإنها مثل المؤمن ، فحدِّثوني ما هي ؟** » ، فوقع الناس في شجر البوادي ووقع في نفسي أنها النخلة ، فاستحيت ، ثم قالوا : حَدِّثْنا ما هي يا رسول الله ؟ ، قال : « **هي النَّخلة** » (٤) . وفي رواية : « **إن من الشجر لما بركته كبركة المسلم** » (٥) .

❁ هذه ثلة منتقاة من كلام المعصوم ﷺ تَحُثُّ على تفعِّيل دور المسلم وتفاعله لينفع غيره بما يستطيع، أو على الأقل يكف أذاه ويمسك شره عن غيره ، فهذا والله من نفع الآخرين بما يستطيع .

---

(١) مسلم برقم (٢٦٢٥) .

(٢) صحيح الترغيب والترهيب برقم (٢٦١٨) وقال : رواه الطبراني بإسناد جيد .

(٣) مسلم رقم (١٥٥٦) ، والترمذي برقم (٦٥٠) .

(٤) البخاري برقم (٦١) .

(٥) البخاري برقم (٥٤٤٤) .

❁ ومَنْ تَفَاعَل وتفعّل بهذه الأحاديث ووعاها أصبح إنسانًا صاحب قلب كبير يَسَع به إخوانه ، ويتعدى خيره إلى غيره، يأتمر بقول ربه ـ جل وعلا ـ : ﴿ وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ ﴾ [المائدة : ٢] .

وانظر كيف عبَّر النَّبي ﷺ بقوله: « **أنفعهم للناس**» : إن أفعل التفضيل هنا تدل على أن درجة تفاعل المؤمنين لنفع الآخرين متفاوتة ، وكلما كثُر نفع المسلم لإخوانه وتفاعله معهم في هذا الطريق ، كلما ازدادت محبة الله تعالى له، وليس النفع قاصراً على النفع المادي فقط .

وإنما يشمل كل ما يعود على الناس بالنفع ، نفعهم بالعلم ، نفعهم بالزرع ، نفعهم بإماطة الأذى عن طريقهم ، نفعهم بحسن المعاملة ، نفعهم بقضاء الحوائج وتنفيس الكروب ، نفعهم بالمشورة والإرشاد إلى الهدى ، نفعهم بالدعاء لهم بظاهر الغيب ، نفعهم بإدخال المسرة عليهم ، كل هذا من النفع الذي يزيد محبة الله لك .

❁ فهل أنت فاعل ؟ .

❁ وهل شَحَنَتْ هذه الأقوال الصادقة قلبك الطاهر بشحنة إيمانية فعّالة ؟ .

❁ إن كان قد حصل المطلوب ـ ونرجو الله ذلك ـ فاحمد الله ، وبادِر على الفور بالقيام بأي عمل من تلك الأعمال .

❁ وإن لم يكن قد حصل فأعِد قراءتها لعله يحصل بإذن الله .